## رأي القدس

# اختيار السعودية لمجلس حقوق الانسان

■ تبدو المعايير المتبعة لاختيار اعضاء مجلس الأمم المتحدة لحقوق الانسان غريبة جداً، خاصة عندما تسمح لدول تتربع على عرش انتهاكات هذه الحقوق بالحصول على شرف العضوية.

هذا ما حصل يوم امس الاول عندما فازت المملكة العربية السعودية الى جانب كل من كوبا وباكستان وروسيا والصين، وهي دول تعتبرها منظمة «هيومان رايتس ووتش» اكثر دول العالم انتهاكاً لحقوق الانسان، وغير جديرة بعضوية المجلس الجديد.

ويبدو ان الاعتراضات على عضوية السعودية كانت محقة، فبعد اقل من يوم واحد على تمتع السعودية بالعضوية المذكورة اعلن السيد تركي السديري رئيس هيئة حقوق الانسان السعودية عن تشكيل مجلس ادارة الهيئة من 24 عضواً، ليس من بينهم امرأة واحدة.

تاريخ انتهاكات حقوق الانسان في المملكة العربية السعودية طويل وحافل بالقصص المرعبة، فاعتقال الاشخاص دون محاكمة، وتعريضهم لأبشع انواع التعذيب من الممارسات العادية، وما جرى للشيخ الدكتور سعيد بن زعير والاصلاحيين الثلاثة متروك الفالح، وعبد الله الحامد، وعلي الدميني ما زال ماثلاً في الاذهان. فقد بقي الشيخ بن زعير في السجن سنوات، واعيد اعتقاله مرة اخرى دون ان توجه اليه تهمة رسمية تستحق السجن، والشيء نفسه يقال عن الاصلاحيين الثلاثة الذين اعتقلوا لأنهم قدموا عريضة طالبوا فيها بالاصلاحات، وعلى رأسها احترام حقوق الانسان.

ومن المفارقة ان هؤلاء الاصلاحيين الثلاثة ما زالوا ممنوعين من السفر، وكذلك المحامي محمد سعيد طيب، وعشرات من السياسيين السعوديين الآخرين الذين انتقدوا غياب الديمقراطية والحريات الاساسية في البلاد.

ولعل الانتهاك الأبرز لحقوق الانسان هو ما يحدث للمتهمين بتهريب المخدرات. فهؤلاء لا يمثلون امام محاكم عادلة، وتؤخذ اعترافاتهم تحت التعذيب، وينفذ فيهم حكم الاعدام دون رأفة ودون ان يتوفر لهم طاقم من المحامين يتولون الدفاع عنهم.

واحكام الاعدام هذه التي تصل الى 150 حكماً في العام الواحد في المتوسط، تستهدف الفقراء والمسلمين ومواطني الدول الفقيرة المحكومة من حكومات فاسدة مرتشية، مثل الحكومة الباكستانية، ولا تطبق مطلقاً على كبار المهربين، وهم غالباً من علية القوم في البلاد، وبعضهم امراء، ولا على مواطني الدول الاوروبية، لأن الحكومة السعودية تخشى من غضب حكوماتها، وحملاتها الاعلامية الشرسة. فقد افرجت هذه الحكومة عن المرمضات البريطانيات رغم ادانتهن بقتل زميلتهن النيوزيلاندية، ولم تعدم مهرب مخدرات غربياً رغم ادانة بعض هؤلاء بالجريمة.

ووضعت منظمة «صحافيون بلا حدود» المملكة العربية السعودية في المرتبة الثامنة والستين بعد المئة من مجموع مئة وثمانين دولة، على سجل انتهاك الحريات الصحافية في التقرير الذي اصدرته بمناسبة اليوم العالمي للصحافة.

اوضاع حقوق الانسان تتحسن ولكن ببطء شديد في المملكة، فقد سمحت للمرة الاولى بتأسيس لجنة لحقوق الانسان ولكنها لا تتمتع بالاستقلال المطلوب عن الدولة، ولم تتدخل بشكل فاعل في قضية اعتقال الاصلاحيين. كما انها وجهت دعوات لاعضاء في منظمة العفو الدولية لزيارتها ومناقشة قضايا حقوق الانسان.

المأمول ان يؤدي اختيار السعودية لعضوية المجلس الجديد لحقوق الانسان في التسريع باطلاق الحريات، ووقف اعمال التعذيب والاعتقال دون مسوغات قانونية للنشطاء الاصلاحيين. فالمملكة لا تعرف القضاء العادل المستقل، ولا تعترف بحق المتهمين بالدفاع عن انفسهم من خلال محامين محترفين.

# ماذا جرى في الدورة 117 للمؤتمر القومي العربي بالمغرب؟

**محمد عبدالحكم دياب ***

■ في أحيان كثيرة يكون تناول ما يجري في المؤتمر القومي العربي مصدر متاعب اعتدناها من البعض، وكثيرا ما أدى ذلك إلى نوع من العتاب أقرب إلى المساءلة غير المبررة، ومع ذلك سوف نتناول بعض ما جرى في المؤتمر، إيجابا أو سلبا. ولنبدأ بالجانب الإيجابي، فمجرد انعقاد المؤتمر على مدى سبع عشرة دورة، في عواصم عربية عدة، واجتماع هذه النخبة من المفكرين والقادة السياسيين والأكاديميين والاعلاميين، الموزعين على أقطار الوطن وبلاد المهجر، فمجرد تواصل هذا الانعقاد منذ عام 1990 وحتى الآن، وبهذا العدد الكبير لهو انجاز في حد ذاته، فضلا عن أنه يتيح الفرصة أمام كل هؤلاء للالتقاء وتبادل الرأي.. تميزت هذه الدورة بحضور بارز لفلسطينيي 1948، ممثلين في مشاركة السياسي والأكاديمي البارز عزمي بشارة، وتميزت كذلك باتساع مشاركة الأعضاء، وتداول المسؤولية، التي أوصلت المحامي المغربي خالد السفياني إلى منصب الأمين العام.. بجانب أن حظ هذه الدورة من التغطية الاعلامية كان كبيرا، تابعت أعماله أجهزة الاعلام والصحافة المغربية والعربية، وقامت قناة «الجزيرة» بتغطية مباشرة لأغلب جلساته، وشهد المؤتمر ظاهرة جديدة صنعها الاحتضان الواسع، من قبل المجتمع الأهلي المغربي، من خلال برنامج مواز التقت فيه الفعاليات المتنوعة من مختلف القطاعات الأهلية والنقابية والحزبية المغربية مع خبرات وفعاليات فكرية وسياسية وإعلامية من بين المشاركين في المؤتمر.

في هذا الجو جاء حديث عزمي بشارة منبها ومحذرا القوميين العرب من الوقوع في فخ التعميم بالنسبة لفلسطينيي 1948، لا بتخوين الجميع أو تحويلهم إلى أبطال، وكان ذلك مدخله لتفسير التعددية الحزبية في البرلمان الصهيوني، فهي تعددية مطبقة بأدوات صهيونية، ومن بينها التعددية الاعلامية.. والاعلام العربي لفلسطيني 1948، في غالبيته، يخضع لنفس الظروف لأنه ممول من وزارات ومؤسسات الدولة الصهيونية، ومن عائد الدعاية الخاصة بالشركات الصهيونية الكبرى. وهذا يتناقض مع طرح اليسار «الإسرائيلي»، الذي تمكن من استقطاب أعداد غير قليلة من المثقفين والقادة السياسيين الفلسطينيين داخل الخط الأخضر، ومعنى هذا، كما ورد في حديث عزمي بشارة، صعوبة وجود حركة وطنية فلسطينية، وتيار قومي عربي فلسطيني في إطار «المواطنة الإسرائيلية»، وأرجع ذلك إلى ان البنية الاجتماعية والاقتصادية ليست الا جزءا من بنية اكبر هي البنية الصهيونية، والى غياب بنية طبقية عربية منفصلة عنها، ونفس الشيء يمكن قوله على المستوى الاقتصادي، فليس هناك اقتصاد عربي مستقل لفلسطينيي 1948.. على عكس ما هو قائم في الضفة الغربية وغزة.

ومعنى هذا هو عدم إمكانية عمل سياسي خارج إطار «المواطنة الإسرائيلية»، فحصار الحركة الوطنية الفلسطينية، داخل حدود 1948، بقي ضمن حدود وصفها بشارة بالمعنوية والسياسية، أعاقت تطورها إلى حالة تنظيمية وحركية، لها تعبيرات مؤسسية مستقلة. ولم يمنع هذا الإطار المعنوي والسياسي نمو تيار قومي عربي في الداخل، يؤمن بوجود أمة عربية، وهو تيار ممتد من حركة قومية عربية مستنيرة، بدأت من التيار القومي العربي في بلاد الشام، ولم تنته بالناصرية في مصر، بأهدافه في التحرر من الاستعمار وتركته، وبناء مجتمع عربي حديث، يربط المواطن والدولة، بعيدا عن الفروق الطائفية أو الجنسية أو العرقية أو العشائرية. وعلى هذه الأسس يتواصل عرب الداخل مع الأمة العربية، ليس بهدف التطبيع، ولا «كجسر سلام»، إنما لتعزيز وإغناء الهوية العربية بين فلسطينيي 1948، بعد أعوام طويلة من العزلة. وقامت هذه العلاقة على رفض فكرة الاندماج، والتمسك بحق العودة، وتطوير الفكر القومي باتجاه ديمقراطي.

وكشفت ورقة قدمها الأمين العام الأسبق للمؤتمر، خير الدين حسيب عن معلومات أوردها بوب وودوورد في كتابه «خطة الغزو» خاصة بالتواطؤ الذي تم قبل الغزو وبعده من زعماء عرب، ومنها رسالة بعث بها حسني مبارك إلى الأمير بندر بن سلطان تدعي وجود معامل (مختبرات) متحركة لدى العراق تنتج أسلحة دمار شامل، ولم يكتف بذلك بل أوفد ابنه جمال، في زيارة سرية، لإبلاغ الرئيس الأمريكي نفس المعلومات، ومحرضا له على غزو العراق، أما عن دور الأردن، فقد ذكر بأنه سمح لثلاثة آلاف من القوات الأمريكية الخاصة للقيام بعملياتها قبل الغزو وبعده، وتولى تركيب صواريخ الباتريوت على حدوده مع الدولة الصهيونية لحمايتها من خطر الهجوم العراقي المزعوم.

ومع ذلك واجه المؤتمر عدة إشكاليات لم تكن بنفس المستوى في الدورات السابقة، منها إشكالية الارتباك الذي أصاب سير عملية إنتخاب أمين عام وأمانة عامة جديدة، وأدى إلى فشل ترتيبات أعدت في مقر المؤتمر ببيروت، وقامت على افتراض إمكانية إعادة مبدأ «التوافق» بديلا عن الانتخابات، للتقليل من شأن تطورات جرت في دورة صنعاء سنة 2003، حيث تم الأخذ بآلية الاقتراع السري المباشر، اعتمدت الترتيبات على اختيار رئيس الوزراء اللبناني الأسبق سليم الحص أمينا عاما، ورئيس النادي العربي الأسبق في بريطانيا، ضياء الفلكي، نائبا له.. ولا يستطيع أحد أن يطعن في جدارة أي منهما، إنما المشكلة نشأت من الخلاف حول طريقة «التوافق»، بعد أن تمت بعيدا في بيروت دون «تداول» يذكر مع القوى والكتل المؤثرة، وبدا وكأن حشد الكتلة البعثية (العراقية تحديدا)، بما لها من علاقات مشرقية ومغاربية، كافيا، وكان من الممكن أن يكون «التوافق» ديمقراطيا، إذا ما تم «التداول» بين كافة الأطراف. ويبدو أن القلق من تكرار تجربة صنعاء، جعل «التداول» بين دائرة محدودة بعيدا عن الأضواء، ومع ذلك تسبب الانقسام الذي حدث بين العراقيين، بسبب الموقف من إيران، في خلط الحابل بالنابل، وجاء اعتماد شرط تأييد المقاومة العراقية كشرط وحيد، دون شرط الالتزام القومي. لتزكية العراقيين ليزيد من الارتباك. وفاقمت المعالجات القاصرة من الوضع، ففي اللحظة التي اعتذر فيها الحص طرح على الفور اسم الباحث زياد الحافظ، ثم الوزير البحريني الأسبق علي محمد فخرو، وإذا كان الأول من عرب المهجر بعيدا عن الوطن، كان الثاني متغيبا بعيدا عن المؤتمر، وهذا فتح الطريق أمام خالد السفياني، ليفوز بالتزكية، وحمل هذا الاختيار في طياته تقديرا للبلد المضيف، واحتضانه للدورة، ولم يقتصر أثر الارتباك على اختيار الأمين العام، بل تعداه إلى نتائج انتخابات الأمانة العامة، خاصة تلك المتعلقة بالساحتين العراقية والسورية، فعن العراق فاز الأقرب لحزب «البعث» باعتباره ممثلا للمقاومة، بشكل أعطى الانطباع وكأن المقاومة في العراق ذات لون واحد!! أما بالنسبة لسورية.. جاء نجاح المعارضة السورية مزدوجا، بفوز محمد عبد المجيد منجونة.. وزير أسبق ناصري، ومعه رزان ميشيل عفلق، كريمة مؤسس حزب «البعث»، على حساب عدنان عمران السفير ووزير الاعلام السوري الأسبق. الذي خسر الانتخابات بما يعني غياب حزب «البعث» السوري، وأي من حلفائه في الجبهة القومية!!

أما الإشكالية الثانية فتتعلق بالحراك السياسي في مصر.. وربما كان مقبولا في دورة المؤتمر العام الماضي بالجزائر، تجاهل «كفاية»، لأن البعض تصور أن هذا الحراك لم يكن بالوضوح الذي هو عليه هذا العام، بعد اندلاع انتفاضة القضاة، لكن مشروع البيان الختامي تجاهل ما يجري في مصر بالكامل، وكأنها ليست بلدا عربيا، وغير موجود على خريطة المنطقة، وكأن ما يجري بها لا يؤثر على الساحات العربية الأخرى، وبعد أن نبه كاتب هذه السطور إلى لغز هذا التجاهل، وأيده عضو الأمانة العامة الباحث محمد السعيد إدريس، مع ضغط مكثف من عضو المؤتمر، الاعلامي غسان بن جدو، بضرورة الاهتمام بما يجري في مصر، إلا أن البيان صدر متجاهلا ذلك.. اللهم إلا من كلمات معدودة ومحدودة وردت في باب «علاقة الدولة بالمجتمع» عن تحرك القضاة وطلب «تعميم تجربتهم في الوطن العربي في اتجاه قيام دولة الحق والقانون»، وكأن الهدف هو عزل المصريين عن محيطهم القومي ونطاقهم الإقليمي والدولي، وبقي المؤتمر على موقفه الذي اتخذه في الدورة السادسة عشرة، بتجاهل «كفاية» والحركات الشقيقة لها. هذا بينما جامل السلطات السعودية، وذكر «إنهاء السعودية لاتفاق استخدام بعض قواعدها من طرف الولايات المتحدة». مع غياب أي معلومات تؤكد ذلك، في تناقض غريب مع ما جاء في كلمة الأمين العام الأسبق خير الدين حسيب عن دور القواعد الأمريكية في السعودية في غزو العراق!!

الإشكالية الثالثة لها علاقة بما يمكن أن نطلق عليه «الميوعة» التي بدأت تصيب المؤتمر، خاصة أن هويته ارتبطت ببعدين: الأول هو قومية المنتمين إليه، والتزامهم بأهدافه الستة، وفي مقدمتها هدفا الوحدة العربية والديمقراطية، بمعنى وجود علاقة عضوية بينهما، ولوحظ، خلال السنوات الأخيرة، أن هذه الشروط تراخت، ورغم الدور البارز للمؤتمر القومي العربي في تأسيس المؤتمر القومي الإسلامي، وهو ما يجعل للإسلاميين، غير الملتزمين بأهداف المؤتمر الستة مكانا داخله، وتتم علاقات التنسيق أو التعاون من خلال العلاقة العضوية بين المؤتمرين، وهكذا مع القوى الأخرى.. فلهم مكانهم في مؤتمر «شقيق» هو مؤتمر الأحزاب العربية. وقد بادرت بتوجيه سؤالي إلى أحدى الشخصيات التي تحتل موقعا كبيرا في قيادة المؤتمر، عن مدى العفوية والتعمد في عملية الميوعة هذه؟ ورد هذا القيادي الكبير بأنها متعمدة، بهدف دمج المؤتمر القومي العربي في صيغة أخرى أوسع، خلال السنوات القادمة!! والبعد الثاني هو كونه «مرجعية» تغذي روافد العمل القومي، الحزبية والمستقلة ـ أهلية ورسمية ـ بأفكار وتصورات وخطط تطوير لأزمة لمواقف وتحركات يحتاجها العمل الميداني اليومي.. وهذه «المرجعية» بدت متأثرة بالنزوع الحزبي.. وراحت تتأرجح، مدا وجزرا، تبعا لواقع هذا النزوع المنحاز.

ورغم كل ذلك يبقى المؤتمر القومي العربي أحد أهم الصيغ الرائدة في مجال العمل العربي الأهلي، وقد تعكس دورة الدار البيضاء مناخا أفضل بسبب التفاعل والحراك الديمقراطي في هذا البلد العربي، وكان ملفتا للنظر اختفاء مظاهر الدولة البوليسية، مقارنة ببلد مثل مصر، وشيوع روح إنكار الذات والبعد عن «النفاق الرسمي». حيث لم يواجه المؤتمر ضغطا، من أي نوع، لمأساة رجال السلطة أو الحكم. ولو بطلب إرسال برقية شكر لمسؤول كبير أو صغير. بجانب أن الأيام والتطورات أثبتت صواب رؤية المؤتمر وتحليلاته لكل ما يجري في هذا الوطن العربي الكبير، مع ما فيه من تنوع، بشري وثقافي ومادي وبيئي، وما بين أعضائه من تباين في المصالح والاتجاهات!!

* كاتب من مصر يقيم في لندن

# بفعل المقاومة سيصنع العراقي أحلام مستقبله

**هيفاء زنكنة ***

■ هناك مثل عراقي شعبي يقول «نراويك الموت حتى ترضى بالسخونة»، بمعنى عندما يهددك الموت سترضى بالحمى. وهذا هو ما يجري في العراق حاليا. فمنذ ان تفضلت ادارة الاحتلال الانكلو ـ امريكي على مستخدميها المحليين الصغار بحكومات لاتتجاوز في حضورها وفاعليتها عسكريا واقتصاديا وسياسيا غير ركن صغير من المنطقة الخضراء، بينما احتلت هي العراق كله، ومنذ ان تحصن المحتل ومعاونوه بالقوانين والاجراءات التي تمنحه حق ان يفعل ما يشاء في العراق بما في ذلك الاعتداء والقتل، انخفض سقف توقعات الناس ومتطلباتهم من الحكومة الى ادنى المستويات. وبات هم المواطن الاول ان يبقى هو وافراد عائلته على قيد الحياة. ان ينتهي نهاره بخير وان يستقبل صباح اليوم التالي وهو في بيته لا في سجن مظلم من سجون الداخلية او دهليز تابع لوزارة الدفاع او معسكر من معسكرات الاحتلال.

تغطي عباءة الموت الاسود أهلنا جميعا بأرقام واحصائيات مذهلة. اذ كشف معهد الطب العدلي يوم 10 ايار/مايو ان عدد الجثث التي تم العثور عليها في بغداد وحدها 1901 جثة خلال الشهر الماضي. فماذا كان رد فعل المسؤولين الحكوميين المنتخبين بالاصابع البنفسجية؟ وماذا كان رد رئيس الوزراء؟

بعد مرور أربعة أشهر على اعلان نتائج الانتخابات مازلنا بانتظار ان يتحاصص ويتصالح من تم انتخابه مع من لم يتم انتخابه والأهم من ذلك كله ان يستوفي الجميع شروط ادارة الاحتلال الامريكية. مما يعني، في الواقع، اننا بلا حكومة وليس هناك مسؤول فعلي وان كان هناك رئيس وزراء منتهية ولايته، ورئيس وزراء ستبدأ ولايته حالما تحل اشكالية المحاصصات الطائفية والعرقية وليس الاقتصاد او الاحتلال او جرائمه. وكما ترون، المسألة شائكة حقا. لذلك سأختار رد فعل جلال طالباني نموذجا، لأنه المسؤول الحكومي الوحيد المثبت حاليا.

يخبرنا بيان صادر من مكتب رئيس الجمهورية طالباني بأنه تلقى تقرير معهد الطب العدلي وقرأه. وانه قام بعملية حسابية لصالح الشعب العراقي أضاف فيها عدد الجثث التي لم يتم العثور عليها او الجرائم المماثلة المرتكبة في المحافظات فتبين له بأن العدد الإجمالي للضحايا (يغدو مثيرا للقلق العميق والغضب الشديد) بتعبيره. ولم يكتف بذلك بل استرسل موضحا لنا دلالة الرمز في العدد، قائلا: (ويدل على اننا نواجه حالة لا تقل خطورة عن الأعمال الارهابية المماثلة في السيارات المفخخة والتفجيرات الغادرة). ثم تابع طالباني مبينا بأنه شعر (بالصدمة والحزن والغضب) لدى متابعته تقارير تكاد تكون يومية عن العثور على جثث مجهولة الهوية وأخرى لأشخاص قتلوا على الهوية، وغالبا ما تسجل التقارير حالات تمثيل بالجثث وتعرض الضحايا لتعذيب وحشي قبل تصفيتهم، حسب ما جاء في البيان.

ان ما يثير الانتباه في بيان طالباني كونه يتحدث وكأنه مؤسس لجمعية غير حكومية. جمعية من جمعيات المجتمع المدني المسجلة لتوها وتتوخى الحصول على منح ومساعدات. ويعرف مؤسس الجمعية، بعد ان تلقى دورة تدريبية مكثفة عن كيفية ملء الاستمارات، بأنه لن يحصل على المنحة الا بعد ان يملأ الاستمارة، وفق الأسس والشروط المطلوبة. أهم الشروط هو التحلي بهلامية الموقف او اللاموقف عموما. أي تجنب المواقف السياسية والاخلاقية الصريحة والفعالة والتركيز، خاصة، على تجنب اتخاذ القرارات مهما كانت ملحة. وان يجيد كتابة التقارير بدون عمل حقيقي مع مراعاة اضافة او استخدام تعبيرات معينة جاهزة لاتعني شيئا، تعابير على غرار (يغدو مثيرا للقلق العميق).

والنقطة الثانية التي تثير الاهتمام في البيان هي ان طالباني، بالاضافة الى تجاهله الكلي لجرائم الاحتلال، وهي مسألة لم تعد بحاجة الى توضيح، حين يتحدث عن المأساة اليومية للمواطن وجرائم القتل البشعة التي يتعرض لها وعجز الحكومة المطلق عن اتخاذ اي قرار، يتحدث عنها باعتبارها واقعا منفصلا عنه، تجري لآخرين لاعلاقة له بهم، ولاتمسه من قريب او بعيد. انها امور تصيب شعبا آخر، تقتضي قواعد اللعبة الدبلوماسية اصدار بيان يتم فيه توثيق ابداء القلق والحزن والصدمة احيانا. فقط لا غير.

وتظهر الطهرانيه من تحمل اي مسؤولية سياسية او اخلاقية مهما كانت ظاهرية بحكم مركزه الافتراضي كرئيس للجمهورية، من الجرائم المرتكبة بحق ابناء الشعب، بأوضح صورها حين يحمل المسؤولية الاحزاب السياسية (وكأنها الاخرى وافدة من كوكب آخر وكأنه هو نفسه ليس رئيسا لحزب سياسي) مطالبا اياها بادانة الجرائم كما فعل هو (بشدة وصراحة ووضوح)، وداعيا علماء الدين، مسلمين ومسيحيين، الى (اصدار فتاوى تستنكر هذه الأفعال وتدين مقترفيها).

هذه المسؤولية الهلامية، المتنافية مع كل المفاهيم بدءا من مفهوم العمل السياسي وانتهاء بالقيم الاخلاقية، هي التي يعيش في ظلها المواطن. انها لا تدعه ضحية القتل اليومي فحسب بل الصراع المنهك المستهلك للحصول على ابسط مقومات الحياة الكريمة.

بات الكفاح اليومي الشاق من اجل الحصول على حقوقه الاساسية من طعام ودواء وماء نظيف وكهرباء ووقود وبنزين معركة يناشد فيها الحكومة ويستعطفها. واستنفد الهم الاول اي هم المحافظة على البقاء قدرة المواطن العقلية والجسدية فلم يعد قادرا على رفع الصوت محتجا او معترضا.

ضاعفت وزارة النفط اسعار الوقود الى خمسة اضعاف ما كانت عليه بحجة وضع حد لتهريب البنزين ظاهريا وخضوعا لاوامر البنك الدولي عمليا ولاستيعاب تزايد السرقات والنهب والعقود الوهمية.

فيواصل المواطن، ابن البلد الذي يملك ثاني اكبر احتياطي نفط في العالم، وقوفه بمعدل يزيد على الخمس ساعات في طوابير السيارات المصطفة قرب محطات التعبئة بانتظار الحصول على البنزين، اثر تفاقم ازمة الحصول علي الوقود بمختلف انواعه. تضاعف سعر اسطوانة الغاز السائل في السوق السوداء لأن الحصول عليها من محطات التعبئة شبه مستحيل. اصبح سعر 20 لترا من وقود (الكاز) 13 الف دينار بعد ان كان بمبلغ 7500 دينار.

وتنعكس أزمة الوقود وانقطاع الكهرباء على كل شيء آخر في حياة الناس. فمن ارتفاع اسعار الخبز والمعجنات والثلج واجور المواصلات والخياطة والمحاصيل الزراعية الى توقف المصانع وعدم وجود التهوية او التدفئة في قيضا الصيف وبرد الشتاء.

واذا ما حدث وتساءل المواطن عن السبب وراء كل البلاء الذي يعيشه ويتعرض له والسرقات المفضوحة ترتفع اصوات الوزراء منددة بالارهاب وجرائم الارهاب. ترى ما هي علاقة «القاعدة» وابو مصعب الزرقاوي باختلاس الاموال المخصصة من صندوق اعمار العراق للقضايا الانسانية في محافظة ديالى والبالغة (1200) مليون دولار؟ حيث تم توزيعها بواسطة بعض المنظمات الانسانية لانجاز مشاريع الخدمات الاساسية للعوائل المهجرة، الا ان المشاريع لم تنفذ وبقيت العوائل تعاني وضعا مأساويا لا يطاق. فاختفت المبالغ المخصصة لحفر (120) بئراً للمهجرين ولم يحفر غير (35) بئراً دون المواصفات المطلوبة وان عدد المناقصات المكرسة لمعسكر سعد الذي يضم العوائل المرحلة هو مئة لم ينفذ منها غير أربع. كما اعلن مدير مكتب ديالى ذاري محمد عبد الطائي، مطالباً الجهات المختصة ولجان النزاهة بفتح باب التحقيق بالمبالغ المختفية!

يخذل السياسيون الطائفيون والحكام الصغار المواطن اليوم، كما خذلته سابقا قوى الاستبداد بغطرستها الفارغة من جهة وعبيد التبعية الفكرية للليبرالية الجديدة من جهة أخرى. فما الذي يفعله من عاش خذلان الانظمة والحكومات التي عول عليها ولو لفترات؟ كيف يواجه المواطن المعتد بكرامته تحول مفهوم المسؤولية الوطنية الى فتات خطب؟

في ظل اعصار الموت المظلم، سيرفع المواطن رأسه عاليا ليعلن استعادته للمسؤولية، لحقه في فرض شروط حياته. سيرفع ذراعه عاليا ليقترب بيديه من السماء. سيحملها كما الاحلام في داخله. سيتخلص من الموت والحمى معا. ستزهر بفعل مقاومته أحلام اوسع من المطالبة بطب عدلي نظيف يستقبل الجثث المتناثرة والمرمية في ارجاء العراق، ستشرق في نفسه آمال تريد ما هو اكثر من ثلاجات تتسع للقتلى من الاحباء. سيصنع أياما تنشر الضياء ويزرع الحدائق والحقول الممتدة امتداد الوطن، يمدها بالينابيع، ليكبر فيها اطفاله.

* كاتبة من العراق

# نعوات سورية!

**ميشيل كيلو**

■ تلفت نظري في اللاذقية، مدينة آبائي وأجدادي، أوراق النعي، التي تنتشر بكثافة على حيطان «البلد»، كما يسميها أبناؤها. وفي حين تكون أوراق النعي المدينية مرتبة ومطبوعة وفق نموذج محدد، تتسم أوراق نعي الريفيين بعدم الترتيب، وبكثير من الفوضى في توزيع مكوناتها وفي نوع حروف الطباعة الخشنة المستعملة فيها، والورق الأقرب إلى الأصفر الذي تطبع عليه.

غير أن ظاهرة مهمة لطالما لفتت نظري وأنا اخترق شوارع مدينتي، هي أن أبناء الريف يكونون في أغلب الأحيان من العسكريين، بينما تربط أبناء المدينة علاقة بعيدة وواهية بالجيش، حتى ليندر أن تلمس وجود عسكري ما في أوراق النعي الخاصة بهم، بينما تكاد أوراق النعي الريفية تخلو، من جانبها، من وجود أي مدني، إلا في ما يتصل في الحالتين بالمسنين، الذين كان عمرهم يوم الثامن من آذار/مارس ثلاثين أو أربعين عاما، فلم ينخرطوا في سلك العسكر!

ومع أن كلتا ورقتي النعي تبدأ بالآية الكريمة، التي تتحدث عن النفس المطمئنة العائدة إلى ربها راضية مرضية، فأنهما تفترقان في كل شيء بعد المقدمة، ليعكس افتراقهما افتراق ظروف واقع وحياة أبناء الريف، الذين يعيش معظمهم على ريع السلطة وخاصة العسكري منه، وواقع أبناء المدينة، الذين هم غالبا أصحاب حرف أو أعمال حرة أو موظفون متوسطون وصغار، ويظهر، كما لو أنه وثيقة رسمية، طبائع الأمور في بلد تستقطب سلطته أبناء الريف في الجيش والأمن خاصة، وتمنحهم وظائف ومراكز قيادية في دوائرها ومرافقها الرسمية، وتشجعهم على الانخراط في الجندية وما يتفرع عنها من دوائر وأجهزة، في حين يعتمد أبناء المدينة على أنفسهم وموارد هم الخاصة غالبا، حتى ليعتقد المرء أنهم يعيشون خارج أية علاقة مع أي شيء رسمي أو سلطوي، ويستغرب كيف تمكنوا من البقاء على هامش وخارج سلطة تمسك بكل شيء وتقرر كل شيء في بلدهم، وكيف حققوا التقدم المادي الذي بلغوه، مع أنهم يعيشون خارج عالمها الرسمي: الذي هو موزع الأرزاق الرئيسي على الريفيين.

لو عدنا إلى أوراق النعي، لوجدنا أنها تلقي الضوء على حقائق التوزيع الطبقي والسياسي لمدينة طالما تعايش فيها بسلام وتفاعل أخوي أبناء الأديان والمذاهب والطوائف المختلفة، وكذلك المنتسبون إلى إثنيات متباينة، يقينا لو أنني وجدت قبل أربعين عاما في نفسي الجرأة للحديث عن طوائف، لرجمني أبناء المدينة والريف. أما اليوم، ومع أن الطوائف ضرب من بنية تحتية للوعي العام في سورية، فإن أحدا لا يجرؤ على الحديث عنها، ليس لاعتقاد الناس أنها غير موجودة، بل خوفا من سلطة تدعي أنها أقامت وحدة وطنية صهرت الشعب في بوتقة ألغت جميع أنواع الفروق العقائدية والإثنية، وجعلت أي حديث عن طوائف خيانة وطنية مثبتة تستحق العقاب.

تقول ورقة النعي الريفية، بعد الآية الكريمة، إن الفقيد هو العقيد أو العميد أو المقدم فلان الفلاني، وأن أبناءه هم ـ بحسب رتبته ـ المقدم أو الرائد أو النقيب أو الملازم أول نضال أو ثائر أو كفاح أو رفيق أو خليل أو إبراهيم أو إسماعيل أو حسن أو علي... الخ، وأصهاره أزواج بناته ثورة أو ثائرة أو نضال أو رفيقة أو أمل أو شروق هم المقدم المهندس أو الرائد الطبيب أو الملازم الأول الإلكتروني أو المستشار الفني أو المزارع... الخ. بينما ستجد بين اخوته مدرسا أو معلما أو عضو قيادة شعبة في الحزب أو محاميا أو قاضيا أو مهاجرا، دون أن يبطل ذلك الطابع العسكري الغالب على الأجيال الجديدة من أسرته أو على من يمتون إليها بصلة. فاتني القول: إن ورقة النعي تخبرنا أن الصلاة على روح الفقيد ستتم في جامع القرية، وان العزاء فيه سيقبل يوم كذا وكذا في بيته الريفي، مع أنه ربما يكون ولد في المدينة ومات فيها، ولم يمض أو يعمل غير أيام قليلة في الضيعة.

إذا انتقلنا إلى أوراق النعي المدينية، وجدنا كلمات تتكرر في كل منها هي الحاج أو الشيخ أو التاجر أو المهندس أو الطبيب أو الأستاذ... الخ، تعلمنا أن هؤلاء من رجال البر والتقوى والخير والإحسان، في حين تعكس أسماؤهم بدورها نزعة دينية سادت خلال السنوات الأربعين الماضية لدى معظم أبناء المدينة، فالمتوفى هو محمد جمعة أو محمد غالب أو محمد سالم ـ أو أي شيء من هذا القبيل ـ وأبناؤه هم بالتأكيد محمد مصطفى، ومحمد عبد الله، ومحمد نديم، ومحمد رجاء، ومحمد واصل، ومحمد حسيب، ومحمد طه، ومحمد خالد، ومحمد عمر... الخ، بينما يوجد دوما اسم فاطمة وخديجة وزهراء وعائشة ومؤمنة وتقية وسميه وآمنة وآية بين أسماء بناته وقريباته، وعبد الستار وعبد الله وعبد الغفور وعبد الرحمن بين أسماء أصهاره وأخوته وأبناء أعمامه وأخواله، مشفوعة على الغالب بصفة الحاج أو الشيخ أو البار أو التقي.

ما أن تقرأ أوراق النعي، حتى تكتشف أنك لست فقط حيال رجال فارقوا الحياة الدنيا، بل كذلك أمام وضع اجتماعي/ سياسي/ ثقافي وطني، بالأحرى لا وطني، تفضح الأوراق حقائقه المؤسفة والخطيرة، التي تكونت خلال السنوات التي قالت السلطة فيها إنها تبني عالما من المساواة والإخاء والحرية والمواطنة، وتمحو الفوارق بين الريف والمدينة. عندئذ، ستهز رأسك بأسى، وستخشى ما تشي الأوراق به من مصير بائس ينتظر وطنك، وستترحم على نفسك، خاصة حين تبحث عبثا في أوراق النعي عن شيء يشي بوجود زواج أو قرابة بين المدينة وريفها، وبين محمد علي وعلي محمد، فلا تعثر على أثر لأي منهما، رغم أن صورا وملصقات ويافطات كثيرة تنتشر على جدران المدينة وفي شوارعها تخبرك أنك تعيش في «سورية الحديثة»، وأنك تجسد الوطن، لأن الفروق بينك وبين بقية مواطنيك لم تعد موجودة، تحت أي شكل أو مسمى!

هذا الحال، بدأ يتغير في السنوات الأخيرة، حيث تشكلت في المدينة لجان تعنى بالعمل الوطني الديمقراطي، انتسب إليها طوعيا ولأغراض بعيدة كل البعد عن أي غنم شخصي، جامعيون ومحامون وعمال ومدرسون وتجار وفلاحون وطلبة... الخ من جميع الاتجاهات السياسية والأديان، جعلوا همهم وصل ما انقطع من لحمة بين المواطنين، على أرضية المواطنة، التي تكفل لهم المساواة والحرية. وذلك بصيص الضوء الوحيد في عتمة الواقع المقيت، الذي جعل مدينة عرفت 56 صحيفة ومجلة ومنتدى بين عامي 1925 و1958 لا تعرف اليوم غير جريدة فقيرة توزع 500 نسخة بشق الأنفس، وتخلو من أي منتدى للحوار أو أية ساحة للتنفس الفكري والروحي والوطني، صار من الضروري جدا أن يقبل رجالها ونساؤها العزاء بعلي محمد في جامع العجان وسط المدينة، ومحمد علي في جامع القرداحة!

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London